مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

المنهج الأخلاقي عند الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي
– دراسة وصفية تحليلية –

إعداد:

د.محمد بن نايف بن مطر المطيري

أستاذ مساعد بقسم الدعوة و الثقافة الإسلامية، بكلية الدعوة وأصول الدين،الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

ملخص البحث :

عنوان البحث: المنهج الأخلاقي عند الشيخ العلامة عبد الرحمن السعدي– دراسة وصفية تحليلية.

تحتوي المقدمة على عناصر البحث الرئيسية: أهمية الموضوع، وسبب اختياره، وأهداف البحث، وتساؤلات البحث، ثم الدراسات السابقة، ثم منهج البحث، ثم خطته التفصيلية.

التمهيد: وفيه التعريف بمصطلحات البحث (المنهج ، الأخلاق)، وترجمة موجزة للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي.

المبحث الأول : وتحدثت فيه عن مركزية الأخلاق عند الشيخ السعدي من خلال: مؤلفات الشيخ السعدي المتعلقة بالأخلاق، والنصوص الأخلاقية التي ركز عليها الشيخ في تراثه.

المبحث الثاني: تحدثت فيه عن مصادر وأسس الأخلاق عند الشيخ السعدي.

المبحث الثالث: تحدثت فيه عن مصفوفة القيم عند الشيخ السعدي، وبينت اهتمامه بمفهوم القيمة والعلاقات فيما بين القيم وأصول الفضائل.

المبحث الرابع: تحدثت فيه عن قضايا وقواعد الأخلاق عند الشيخ السعدي .

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى بيان المنهج الأخلاقي في فكر وتراث الشيخ عبد الرحمن السعدي.، وإبراز الجوانب الأصيلة و الإبداعية في طريقة تأصيل الشيخ السعدي للقيم الإسلامية والدعوة إليها، والدفاع عنها

منهج البحث:

تقضي طبيعة البحث استخدام أكثر من منهج،كالمنهج الاستقرائي والوصفي في جمع المادة العلمية، ثم المنهج التحليلي

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

في تحليل البيانات، ودراستها ، ثم استخلاص النتائج، مع العناية بمنهج كتابة البحث العلمي في علامات الترقيم،والهوامش وتوثيق المصادر.

نتائج البحث:

اتضح في البحث العناية الفائقة بالأخلاق الإسلامية في تراث الشيخ السعدي من خلال القرآن الكريم أو السنة النبوية أو الآثار عن السلف الصالح، توضيح الشيخ السعدي لمحاسن القيم الإسلامية، ومناقشة الآراء المخالفة بطريقة مقنعة مبنية على البراهين العلمية.

كلمات دلالية: منهج، الأخلاق، السعدي.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

أنزل الله سبحانه وتعالى العلماء منزلة عظيمة في الإسلام؛ فجعلهم ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كما في الحديث الصحيح " وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظٍ وافر"(١)، ومن هذه الطائفة المباركة فضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله تعالى، وهو من أئمة الدين في هذه العصور المتأخرة، وشهد له بذلك علماء عصره، ومن أتى بعدهم.

وكانت للشيخ مساهمات علمية مميزة، لا تخص علماً بعينه، بل شارك رحمه الله تعالى في مختلف العلوم، فكتب في العقيدة، والتفسير، والفقه وأصوله، والدعوة الإسلامية، والأخلاق.

وهذا البحث عنوانه " المنهج الأخلاقي عند الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي" يلقي الضوء على مسألة من أخطر المسائل عند الأمم جميعاً، وعند الأمة الإسلامية على وجه الخصوص وهي مسألة الأخلاق، وأسأل الله أن يكون خطوة تتبعها خطوات جادة تثير الجوانب المهمة في تراث الشيخ رحمه الله تعالى.

أولاً : أهمية الموضوع وسبب اختياره:

يمكن رؤية أهمية الموضوع وسبب اختياره من خلال النقاط التالية:

١- الحاجة إلى إبراز المنهج الأخلاقي على طريقة ومنهج السلف الصالح رضي الله عنهم.

٢- ضرورة إظهار دور العلماء في الاهتمام بمسألة الأخلاق الإسلامية.

٣- بيان مكانة الشيخ السعدي العلمية فيما يتعلق بالبحث الأخلاقي، وعلو منزلته في مختلف العلوم الإسلامية.

٤- وفرة وغزارة المادة العلمية في موضوع الأخلاق في تراث الشيخ السعدي رحمه الله.

---

(١) أخرجه أبوداود في سننه، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم (٣١٧/٣)، حديث رقم ٣٦٤١، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه؛ والترمذي في سننه، كتاب العلم، باب ماجاء في فضل الفقه على العبادة(٤٨/٥)، حديث رقم٢٦٨٢،من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه؛وابن ماجه في سننه، المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم حديث (٨//١) حديث رقم ٢٢٣، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح أبي داود برقم ٣٦٤١.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

ثانياً: أهداف البحث:

١- بيان المنهج الأخلاقي في فكر وتراث الشيخ عبد الرحمن السعدي.

٢- وإبراز الجوانب الأصيلة و الإبداعية في طريقة تأصيل الشيخ السعدي للقيم الإسلامية والدعوة إليها، والدفاع عنها.

ثالثاً : تساؤلات البحث:

يهدف هذا البحث إلى إبراز المنهج الأخلاقي عند الشيخ السعدي من خلال تراثه ومؤلفاته، ويمكن إبراز هذا المنهج من خلال الإجابات على التساؤلات التالية:

١- ما منزلة الأخلاق في تراث الشيخ السعدي رحمه الله تعالى؟

٢- ما مصادر الأخلاق وأسسها عند الشيخ السعدي؟

٣- ما مصفوفة/ أصول القيم عند الشيخ السعدي؟

٤- ما القضايا والقواعد الأخلاقية عند الشيخ السعدي؟

رابعاً : منهج البحث:

سأتبع في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي[٢]، كما أنني سأقوم بتطبيق قواعد البحث العلمي، وملتزماً بما يأتي:

١- عزو الآيات إلى مواضعها في المصحف، وتخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية، ونقل ماذكره أهل الاختصاص في علم الحديث من أحكام عليها إذا لم تكن في الصحيحين.

٢- توثيق النصوص والشواهد من مصادرها ومراجعها المعتمدة، فإذا كانت بنصها وضعتها بين قوسين، وإذا لم تكن بنصها فلا أضعها بين أقواس، ويُكتب قبل المصدر أو المرجع في الحاشية كلمة "انظر".

٣- شرح الألفاظ الغريبة أو المصطلحات التي قد ترد في ثنايا البحث بصورة موجزة.

٤- ضبط الكلمات التي تحتاج إلى ضبط لرفع اللبس الذي قد يرد عليها عند قراءتها.

---

(٢) المنهج الوصفي التحليلي: هو الذي يعتمد على وصف ظاهرة من الظواهر ومتغيراتها كما في الواقع، للوصول إلى وصفها وصفاً دقيقاً، لمعرفة أسبابها والعوامل المؤثرة فيها، واستخلاص النتائج وتصميمها. ينظر: دليل إعداد الرسائل العلمية والمشروعات البحثية، عمادة الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية (٣١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

٥- العناية بعلامات الترقيم.

خامساً : الدراسات السابقة:

من خلال بحثي واستقصائي في مختلف المراكز البحثية والجامعات لم أقف على بحث له علاقة بموضوع الأخلاق أو منهج الشيخ السعدي في دراستها، وجميع ما وقفت عليه من بحوث أكثرها يتعلق بموضوعات العقيدة والتفسير والفقه، وهناك قسم يتعلق بموضوعات الدعوة والتربية، ولعلي أذكر البحوث العلمية التي لها علاقة بتخصص الدعوة والثقافة الإسلامية إذ هي أقرب ما يكون لموضوعنا، وإن كانت بصورة غير مباشرة كما أسلفت، وهي كما يأتي:

١- الشيخ عبد الرحمن السعدي حياته ، علمه، منهجه في الدعوة إلى الله تعالى، للباحث: عبد الله العمار، رسالة ماجستير، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٥-١٤٠٦هـ.

٢- الشيخ عبد الرحمن السعدي منهجه وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، للباحث: عبد الله الرميان، رسالة ماجستير، بقسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمدينة المنورة، عام ١٤١٤هـ.

٣- الفكر التربوي عند الشيخ عبد الرحمن السعدي، للباحث: عبد العزيز الرشودي، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة أم القرى، عام ١٤١٧هـ[٣]..

٤- البعد الثقافي في فكر الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، للباحث: عبد اللطيف بن إبراهيم الحسين، مجلة الدرعية، السنة التاسعة، العدد السادس والثلاثون، ذو الحجة ١٤٢٧هـ.

ودراستي : مختلفة تماماً عن الدراسات السابقة فكرة ومضموناً، حيث سأدرس النظرية الأخلاقية، محاولاً إبراز معالم النظرية الأخلاقية لدى الشيخ السعدي، وبيان جوانب الإبداع والإضافة في فكر الشيخ رحمه الله تعالى.

سادساً: تقسيم البحث:

- مقدمة وتشمل:
  - أهمية الموضوع.

(٣) طبعت الرسالة في كتاب عام ١٤٢٠هـ.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

- تساؤلات البحث.
- منهج البحث.
- الدراسات السابقة.

- **التمهيد:**
  - المطلب الأول: أبرز مصطلحات الدراسة (المنهج- الأخلاق).
  - المطلب الثاني: ترجمة موجزة للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي.
- المبحث الأول: مركزية الأخلاق عند الشيخ عبد الرحمن السعدي.
  - المطلب الأول: المؤلفات المتعلقة بالأخلاق.
  - المطلب الثاني: النصوص الأخلاقية.
- المبحث الثاني: مصادر الأخلاق وأسسها عند الشيخ عبد الرحمن السعدي.
  - المطلب الأول : المصادر.
  - المطلب الثاني: الأسس.
- المبحث الثالث: مصفوفة الأخلاق عند الشيخ عبد الرحمن السعدي.
  - المطلب الأول: توسيع مفهوم القيمة ومعانيها.
  - المطلب الثاني: العلاقة بين القيم الأخلاقية والتقسيمات البديعة لها.
  - المطلب الثالث: أصول الفضائل.
- المبحث الرابع: قضايا الأخلاق وقواعدها عند الشيخ عبد الرحمن السعدي.
  - المطلب الأول: القضايا الأخلاقية.
  - المطلب الثاني: القواعد الأخلاقية.
- الخاتمة.
- الفهارس.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

التمهيد:

– المطلب الأول:أبرز مصطلحات الدراسة (المنهج–الأخلاق).

– المنهج لغة: مصدر مشتق من نَهَجَ ينهجُ نَهْجاً،ونَهَاجاً،ونُهُوجاً، ومَنْهَجاً[٤].

وعند ابن فارس: النون والهاء والجيم أصلان متباينان:**الأول**: النهج: الطريق،ونهج لي الأمر: أوضحه.

وهو مستقيم المنهاج والمنهج: الطريق أيضاً.

والثاني:الانقطاع[٥]. والمعنى الأول هو المناسب لموضوعنا؛ فالنهج والمنهج والمنهاج: الطريق الواضح[٦].

– **المنهج اصطلاحاً**:يعرّف المنهج بحسب المجال الذي ينتسب إليه؛ ولذا ظهر الاختلاف في تعريفه، والمراد به على جهة العموم: " النظام والخطة العلمية السليمة المرسومة للشيء، وذلك مثل مناهج الدراسة والتعليم، ومناهج البحث العلمي، ومناهج العلوم"[٧].

ويُعرّف كذلك بأنه:" هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة"[٨].

و في هذا البحث أقصد بالمنهج معناه العام، من حيث " إنه وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة انطلاقاً من زاوية نظر لموضوع الدراسة، دون الدخول في تفاصيل خاصة لأنواع المناهج كالتاريخي، أو التركيبي، أو الذاتي، أو الكمي، أو المقارن، أو نحو هذا.. واختياري هذه الزاوية مبني على هدفي من البحث وهو إثبات أن الفكر الأخلاقي في الإسلام ضبطته مناهج وضحت منطلقات أصحابها، ووسائلهم، وأهدافهم، وهي مناهج لها خصائصها التي تميزها عن أي فكر أخلاقي، ولا يضيرها

---

(٤) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، مادة نهج.

(٥) ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة (٣٦١/٥) (مادة نهج).

(٦) الفيروز آبادي، القاموس المحيط (٢٠٨/١).

(٧) إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط (٩٥٧/٢).

(٨) عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي ص (٥).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

ألا تجيء على غراره"[٩].

– **الأخلاق لغة:**هي السجية والطبع والمروءة والدين[١٠].

– **وأما الأخلاق اصطلاحاً**: فقد نقل عن الأخلاقيين تعريفات كثيرة، ومتنوعة بتنوع المذاهب،من أشهرها تعريف ابن مسكويه والغزالي،فابن مسكويه يرى بأن الخلق:"حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية"[١١].

– وعرفه الإمام الغزالي بقوله:"الخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة تصدر الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية،فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت تلك الهيئة خلقاً حسناً، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت تلك الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً"[١٢]، ويتضح لي بأن تعريف الإمام الغزالي يشير إلى أنه يفرق بين الخلق كحالة نفسية كوّنها اعتقاد خاص وفكر ناشئ عنه، وبين السلوك الظاهر الذي يصدر عن هذه الهيئة، وبه نحكم على الشخص بخلق ما، وقد علق كثير من الأخلاقيين على هذه التعريفات بملاحظة عامة،وهي تركيز هذه التعريفات على أن وجود الهيئة الراسخة يجعل السلوك آلياً بلا مشقة وبلا اختيار،مع أن قيمة العمل الخلقي تكمن في صدوره عن نية طيبة، وفكرة واعية بالوسيلة والغاية لهذا السلوك[١٣].

(٩) د. أبو اليزيد العجمي، الأخلاق بين العقل والنقل ص (١٤٥).

(١٠)مقاييس اللغة: (٢١٤/٢).

(١١)تهذيب الأخلاق لابن مسكويه ص (٤١).

(١٢)إحياء علوم الدين (٥٣/٣).

(١٣) انظر: د.أبو اليزيد العجمي، الأخلاق بين العقل والنقل ص(٢٣) بتصرف يسير.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

– المطلب الثاني:ترجمة موجزة للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

١– نسبه ومولده ونشأته:

– هو الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد بن محمد بن حمد السِّعدي، من النواصر من بني عمرو، أحد أفخاذ قبيلة بني تميم، ويكنى بأبي عبدالله.

– ولد – رحمه الله تعالى– في بلدة عنيزة بمنطقة القصيم، في الثاني عشر من محرم، سنة ١٣٠٧هـ.

– توفيت والدته وله من العمر أربع سنين، ثم توفي والده، وكان عمره في السابعة، وبعدها كفلته زوجة أبيه، وأحبته أكثر من أولادها؛ فكانت تعني به العناية الفائقة، مع الاهتمام البالغ من الرعاية والتربية.

– نشأ الشيخ نشأة صالحة، كانت مثار إعجاب ممن حوله، وظهرت عليه بوادر الذكاء والحرص على التعلم، فحفظ القرآن الكريم وعمره إحدى عشرة سنة، وكان محافظاً على صلاته، مشهوداً له بالغيرة الدينية(١٤).

٢– أخلاقه:

– كان الشيخ السعدي معروفاً برقته، وسمو أخلاقه، فشهد له طلابه بالتواضع، ولين الجانب, وحب المساكين والعطف عليهم، يقول عنه الشيخ عبد الله البسام–رحمه الله تعالى– واصفاً أخلاقه، ومعدداً فضائله : " له أخلاق أرق من النسيم، وأعذب من السلسبيل، لا يعاتب على الهفوة، ولا يؤاخذ بالجفوة، يتودد ويتحبب إلى البعيد والقريب، يقابل بالبشاشة، ويحيِّي بالطلاقة، ويعاشر بالحسنى، ويُجالس بالمنادمة، ويجاذب أطراف حديث الود والأنس، ويعطف على الفقير والصغير، ويبذل طاقاته ووسعه بالخير، ويساعد بماله وجاهه، وينشر علمه ونصحه، ويدلي برأيه ونصحه بلسان صادق، وقلب خالص، وسر مكتوم، ومهما أردت أن أعدد فضائله، ومحاسنه التي يتحلى بها؛ فإني مقصر، وقلمي عاجز، ولا يُدرك هذا إلا من جالسه وعاشره، هذا مع زهده وورعه.."(١٥).

٣– وفاته:

في سنة ١٣٧١هـ، أبتلي الشيخ بمرض تصلب الشرايين وضغط الدم، وسافر إلى لبنان طلباً للعلاج؛ فنصحه الأطباء

---

(١٤) انظر: محمد القاضي، روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين (٢٣٩/١).

(١٥)الشيخ عبد الله البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون(٢٤٥/٣).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

بالراحة، ولكن لم ينقطع عن التدريس وتأليف الكتب، فأجهد نفسه، وعاوده المرض من جديد.

وفي يوم الخميس (٢٣-٦-١٣٧٦هـ) توفي الشيخ صابراً محتسباً، فرحمه الله وغفر له، وأنزله منازل الأولياء والشهداء.

٤- مكانته العلميّة:

بدأ الشيخ طلبه للعلم مبكراً على علماء بلده، ومن يرد إليها، وعرف عنه الجد والاجتهاد في تحصيل العلم الشرعي، وكان مواظباً على شهود حلقات العلم التي درس فيها مختلف الفنون العلمية، وتفوق في كثير منها، وظهر على أقرانه من طلاب العلم.

ونلحظ في سيرته-رحمه الله تعالى- كثرة الشيوخ الذين أخذ عنهم، وتنوع مصادر التلقي لديهم، من مدارس عديدة، من نجد والحجاز والبصرة والكوفة وبغداد ومصر والشام والهند وغيرها.

وكان لهذا التنوع الذي أخذه عن مشايخه أثره في التكوين العلمي، حيث علق بالبحث، والمناقشة، والاستنباط، والحوار، والتأليف.

ولازم الشيخ السعدي مشايخه طويلاً، وأخذ كثيراً من علومهم، واقتدى بأخلاقهم وآدابهم، واجتهد وجدَّ في طلب العلم، حتى أصبح مقصد الطلاب في بلده، والبلدان المجاورة، في علوم الحديث والفقه والتفسير، وعمره لما يجاوز الثالثة والأربعين(١٦).

٥- مشايخه وتلاميذه:

- مشايخه:

كما مضى معنا عرف الشيخ السعدي بكثرة مشائخه؛ فأخذ عن جماعة من أهل العلم المعروفين، من أهل بلدته أو من وفد إليها، منهم على سبيل المثال:

١- الشيخ عبد الله بن عائض (١٣٢٢هـ)(١٧)، قاضي عنيزة، وهو من أوائل من أخذ عنهم من علماء بلده.

٢- الشيخ محمد بن عبد الكريم الشبل (١٣٤٣هـ)(١٨).

٣- الشيخ صالح بن عثمان بن حمد القاضي(١٣٥١هـ)(١٩)، وقد لازمه الشيخ طويلاً.

---

(١٦) انظر: روضة الناضرين (٢٤٠/١)، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون (٢٢٢/٣)، ومشاهير علماء نجد وغيرهم (٣٩٣).

(١٧) الشيخ عبد الله البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون (١٨٤/٤-١٩٢).

(١٨) المرجع السابق (١٢١/٦-١٣٠).

(١٩) المرجع السابق (٥١٧/٢-٥٢٠).

٤- الشيخ إبراهيم بن جاسر(١٣٣٨هـ)[٢٠].

٥- الشيخ صعب بن عبدالله التويجري(١٣٣٩هـ)[٢١].

٦- الشيخ علي بن محمد السناني(١٣٣٩هـ)[٢٢].

٧- الشيخ المؤرخ إبراهيم بن صالح بن عيسى (١٣٤٣هـ)[٢٣].

٨- الشيخ محمد بن الأمين الشنقيطي (١٣٥١هـ)[٢٤]، وهو غير المفسر الشهير، صاحب أضواء البيان.

٩- الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع(١٣٨٥هـ)[٢٥]، وغيرهم رحمهم الله جميعاً.

– تلاميذه:

لقد تتلمذ على الشيخ السعدي عدد كبير من طلاب العلم؛ نظراً لاشتهار الشيخ بسعة العلم والاطلاع، وحسن تعليمه، وتعامله اللطيف معهم، ووفد إليه الراغبون في العلم من شتى البلاد، وسأذكر بعضهم رغبة في الاختصار، فمنهم:

١- الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين(١٤٢١هـ)[٢٦].

٢- الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام (١٤٢٣هـ)[٢٧].

وغيرهم كثير، رحمهم الله تعالى.

---

(٢٠) المرجع السابق (١/٢٧٧-٢٩٣).

(٢١) انظر : محمد بن عثمان القاضي، روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين (١/١٥٠-١٥١).

(٢٢) انظر : الشيخ عبد الله البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون (٥/٢٤٨-٢٥١).

(٢٣) المرجع السابق (١/٣١٨-٣٣١).

(٢٤)انظر: عبد الرحمن آل الشيخ، مشاهير علماء نجد وغيرهم ص(٣٩٣).

(٢٥)انظر : الشيخ عبد الله البسام، علماء نجد خلال ثمانية قرون (٦/١٠٠-١١٣).

(٢٦)انظر: الدكتور ناصر الزهراني، ابن عثيمين الإمام الزاهد ص (٢٣-١٧٣).

(٢٧)انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون، ترجم له ابنه:خالد البسام (١/٨١-١١٦).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

٦– مؤلفاته:

يعد الشيخ السعدي من العلماء المكثرين في التأليف، بل كانت كتبه في مختلف العلوم والفنون، ونظراً لشهرة مؤلفات الشيخ لدى كثير من طلاب العلم، سأكتفي بذكر أهمها في كل فن، فمنها على سبيل المثال:

أ– في العقيدة:

١– القول السديد في مقاصد التوحيد.

٢– التوضيح والبيان لشجرة الإيمان.

٣– الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية.

٤– سؤال وجواب في أهم المهمات.

٥– التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة.

ب– في القرآن وعلومه:

١– تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.

٢– القواعد الحسان لتفسير القرآن.

٣– فوائد مستنبطة من قصة يوسف.

٤– المواهب الربانية من الآيات القرآنية.

ج– في الحديث الشريف:

١– بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار.

د– في الفقه والأصول والقواعد الفقهية والفتاوى:

١– منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين.

٢– الإرشاد إلى معرفة الأحكام.

٣– رسالة لطيفة جامعة في أصول الفقه المهمة.

٤– القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة.

٥– رسالة في القواعد الفقهية.

٦- الفتوى السعدية.

٧- حكم شرب الدخان.

هـ- في الدعوة والثقافة الإسلامية:

١- الرياض الناضرة والحدائق النيّرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة.

٢- الدرة المختصرة في محاسن دين الإسلام.

٣- الوسائل المفيدة للحياة السعيدة.

٤- الفواكه الشهية في الخطب المنبرية.

٥- الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين.

ولم أسجل بعض المؤلفات رغبة في الاختصار، وبهذا ندرك أثر الشيخ السعدي في الحركة العلمية من خلال هذا التراث الضخم في شتى العلوم الإسلامية، وقد أثرى به المكتبة الإسلامية، خاصة في المجالات العلمية والدعوية والتربوية.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

المبحث الأول: مركزية الأخلاق عند الشيخ السعدي:

تكاد تجتمع كلمة قراء تراث الشيخ السعدي بأن للشيخ اهتماماً بالغاً بمسألة الأخلاق، ويظهر هذا الاهتمام في جميع كتبه دون استثناء، ويدرك القارئ هذه الحقيقة من القراءة الأولى لأي كتاب من كتبه ، ومركزية الأخلاق لديه–رحمه الله تعالى– تتجلى لنا من خلال مظهرين واضحين:

المطلب الأول: المؤلفات المتعلقة بالأخلاق:

كما بينت سابقاً بأن الشيخ السعدي رحمه الله تعالى قد ضرب بسهم في كثير من العلوم الإسلامية، وقد خصّ موضوع الأخلاق بمزيد عناية؛ فوضع فيها كتباً خاصة، ونلمس هذا في اختياره لعناوين كتبه ومضامينها، فمنها:

١– كتاب " حسن الخلق".

وهو كتاب صغير في الأخلاق، ويتضح ذلك من العنوان، قصد الشيخ منه ذكر المنافع والمصالح العامة والخاصة لحسن الخلق، وعدّ كثيراً من فوائده، منها محبة الناس، وأنه من الإحسان، بل قد يزيد على الإحسان المالي، وفيه طمأنينة القلب وراحته.. إلخ.

ثم قصد بعدها إلى بيان الأسباب التي تعين العبد على الاتصاف بالخلق الحسن، فذكر منها:

التفكر في ثماره، وحسن عواقبه، فهذا التفكر من أكبر الدواعي إلى فعله والالتزام به.

وكذلك منها علو الهمة، والرغبة في الوصول إلى مكارم الأخلاق، ثم ذكر من الأسباب التأمل في آثار سوء الخلق القبيحة التي تصيب المرء بالألم والتأسف، ثم تعرض إلى أهمية رياضة النفس وتوطينها على محاسن الأخلاق، بعدها انتقل الشيخ إلى الحديث حول خلق الرجاء، وثمراته في الحياة، وفي طلب العلم على وجه الخصوص، وعاقبة التخلي عنه من الكسل والتشاؤم وضعف اليقين.

٢– كتاب " المعين على تحصيل آداب العلم، وأخلاق المتعلمين".

ذكر الشيخ فيه آداب المعلم والمتعلم، وكيفية التعلم، وبدأ هذه الآداب بخلق الإخلاص في طلب العلم، وبيّن فيه منزلة العلم، وفضائله.

ثم فصّل في أخلاق المعلم، كما أكد على أهمية حسن الخلق للطالب؛ لنيل مراده.

والكتاب كتب بأسلوبٍ، يتصف بسهولة اللفظ مع جزالة المعنى، كما تظهر فيه خبرة الشيخ بالتدريس، والتعليم منذ زمن

جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

بعيد(٢٨).

٣- كتاب "فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن الكريم".

وهذا الكتاب أيضاً صغير الحجم، جمع فيه مؤلفه-رحمه الله تعالى-ثلاثة فنون: أحدها: علم التوحيد، والثاني:علم الأخلاق، والثالث:علم الفقه، عبادات ومعاملات وغيرها.

ومما يسترعي الانتباه أن الشيخ قد عدّ الأخلاق علماً من علوم القرآن، بهذا ينزل الأخلاق منزلتها اللائقة بها، من ضرورة دخولها في علوم القرآن، والتأكيد عليها درساً وتعلماً، وقد سبقه إلى هذا الرازي في تفسيره، حيث أشار إلى اشتمال القرآن على " علم الأخلاق"،قال :" وقد حصل في القرآن من مباحث هذا العلم ما لايكاد يوجد في غيره، كقوله تعالى : ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]

وقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾ [النحل: ٩٠] "(٢٩)، وكذلك برهان الدين البقاعي الذي قال: " وعلم الأخلاق كثير في القرآن، مثل : ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النحل: ٩٠] وأمثالهما"(٣٠).

٤- كتاب " منهج الحق منظومة في العقيدة والأخلاق"، وهو عبارة عن منظومة تشتمل على أقسام التوحيد، وعلى أمهات عقائد أهل السنة والجماعة، وعلى التفكر في مخلوقات الله، وعلى آياته الدالة عليه، ومشتملة على التخلق بالأخلاق الجميلة، والتنزه عن الأخلاق الرذيلة، إذ هذه الأمور أصول العلوم وأمهاتها(٣١).

وإن كانت هذه الكتب حملت عنوان الأخلاق صراحة، أو كان موضوع الأخلاق هو الغالب على مضمونها، فهذا لا يعني أن بقيّة مؤلفات الشيخ بعيدة عن موضوعات الأخلاق وما يتعلق بها، بل العكس هو الصحيح، فالشيخ كان مدركاً لقيمة الأخلاق، فهي ثالث قضاياه المركزية بعد العقائد، والفقه والتشريعات!

---

(٢٨)انظر: مهنا الضالع، الفقهاء والآداب الشرعية- فقهاء الحنابلة نموذجاً ص(١١٧-١١٨).

(٢٩) مفاتيح الغيب (٢٥٣/١٧).

(٣٠) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٢١/٩-١٢٢).

(٣١) انظر: د. عبد الرزاق البدر: مقدمة شرح منهج الحق منظومة في العقائد والأخلاق ص(٤).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

ولذا نجد العلامة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله يشير إلى أن تفسير " تيسير الكريم المنان " هو تفسير أخلاقي؛ ففي مقدمته لتفسير شيخه السعدي يقول: "إنه كتاب تفسير وتربية على الأخلاق الفاضلة.."(٣٢)، وهذا يؤكد مركزية الأخلاق في تراث الشيخ السعدي رحمه الله تعالى. بل إن كتابه الأهم "الرياض الناضرة والحدائق النيرة الباهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة" هو في حقيقته كتاب أخلاقي بامتياز، حيث شكلت الأخلاق وقضاياها أكثر مسائله، وكذلك كتابه في السعادة، وهي إحدى قضايا الأخلاق الأساسية،كما أن كتب الشيخ رحمه الله تعالى مثل كتاب" بهجة قلوب الأبرار"، أو مجموعة خطبه، وغيرها، جميعها توضح حقيقة اهتمام الشيخ بمسألة الأخلاق والقيم الإسلامية!

المطلب الثاني: النصوص الأخلاقية:

يظهر اهتمام الشيخ بالأخلاق كثرة النصوص والتعليقات التي تختص بالأخلاق والسلوك، وتتعلق بقضاياها، وهذه النصوص تتخذ أشكالاً وصوراً متعددة، منها:

١- حرصه الشديد في بيان معاني الفضيلة الأخلاقية وضوابطها، والتفريق بين المتشابه منها؛ فيقول عن خلق الشجاعة: " هي: الصبر والثبات، والإقدام على الأمور النافع تحصيلها، أو دفعها، وتكون في الأقوال وفي الأفعال، فأصلها في القلب، وهو ثبات القلب وقوّته وسكونه عند المهمات والمخاوف.."(٣٣).

وبعدها ذكر الفرق بين الشجاعة وما يشاكلها؛ فقال عن ثمرة الشجاعة : " الإقدام في الأقوال والأفعال وعند القلق والاضطراب؛ وكماله وزينته أن يكون موافقاً للحكمة، فإنه إذا زاد عن الحكمة خشي أن يكون تهوراً وسفهاً وإلقاء باليد إلى التهلكة، وذلك مذموم، كما يذم الجبن، فالشجاعة خلق فاضل، متوسط بين خلقين رذيلين، وهما: الجبن والتهور"(٣٤).وفي موطن آخر يفرق بين الشجاعة المحمودة والشجاعة المذمومة، فالأولى إذا كان المقصود بها نصر الحق، وردّ الباطل، وتحصيل المنافع العامة، والمصالح المشتركة، فأما إذا كانت في حظوظ النفس الدنيئة، لا في حقوق الله، وحقوق الخلق: فإنها ذميمة(٣٥).

---

(٣٢) مقدمة تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي ص(٦).

(٣٣)الرياض الناضرة، ص (٤٧).

(٣٤)المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣٥)المرجع السابق ص (٥٠).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

وكما أن الشيخ يهتم بالتفريق بين خلق وآخر، فإنه يهتم ببيان الصلة والعلاقة بين خلق وآخر:" فالإخلاص والتوكل والشجاعة أخلاق متلازمة، يمدّ بعضها بعضاً، ويستعين بعضها ببعض، وصاحبها في علو مطّرد، وأضدادها العكس"(٣٦).

وكذلك هو رحمه الله تعالى في اهتمامه بهذا الجانب يبيّن حدود المفهوم الأخلاقي لكل خلق، كما يهتم بتوسيع المفهوم، ظهر ذلك في مفهوم البر، و الفلاح ، والنصيحة وغيرها.

٢- ومن صور عنايته-رحمه الله تعالى- بالأخلاق أيضاً بيان ثمرات الأخلاق الفاضلة، ونتائج أضدادها، وعواقبها الوخيمة، وفي هذه يقول: " فمن أجل فوائده : امتثال أمر الله وأمر رسوله، والاقتداء بخلق النبي ﷺ العظيم، وإنه في نفسه عبادة عظيمة، تتناول من العبد وقتاً طويلاً وهو في راحة ونعيم مع الحصول على الأجر العظيم.

ومن فوائده: أنه يحبب صاحبه للقريب والبعيد، ويجعل العدو صديقاً، والبعيد قريباً، وبه يتمكن الداعي إلى الله والمعلم للخير من دعوته، ويجمع الخلق إليه بقلوب راغبة، وقبول واستعداد، لوجود السبب، وانتفاع المانع.."(٣٧).

هذا بصفة عامة، ويبيّن في مواطن كثيرة من كتبه منافع الأخلاق الحسنة، ومضار الأخلاق السيئة، فمثلاً يعدد لنا منافع خلق التواضع؛ فيقول : " المتواضع حبيب إلى الله، حبيب إلى عباد الله، قريب من الخيرات، بعيد عن الشرور والمنكرات"(٣٨)، و"كم حصل للمتواضع من مودّة وصداقات! وكم تم له من ثناء وأدعية من الناس مستجابات!.. وكم حصل له بالتواضع من خير كثير"(٣٩).وكذلك هو يذكر لنا مضار الكبر ومفاسده؛ فيقول:" والمتكبر بغيض إلى الله، بغيض إلى عباد الله، بعيد من الإحسان والخيرات، قريب من الشرور والمنكرات"(٤٠). وهناك فصول في كتبه توضح فوائد الأخلاق الحسنة، والآثار السيئة للأخلاق القبيحة، ففي كتاب الرياض الناضرة فصل بعنوان: " في فوائد الشجاعة وذم الجبن والتهور"(٤١)، وفصل بعنوان:" في

(٣٦)المرجع السابق ص (٥١).
(٣٧) حسن الخلق ص(٧).
(٣٨) الرياض الناضرة ص(٩٩).
(٣٩) المرجع السابق ص (١٠٠).
(٤٠) المرجع السابق ص (١٠٠).
(٤١) ص(٤٧).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

فوائد الرحمة والشفقة على الخلق"[٤٢] وغيرها كثير في سائر كتبه رحمه الله تعالى.

المبحث الثاني: مصادر الأخلاق وأسسها عند الشيخ السعدي:

قبل أن ننظر في المصادر والأسس الأخلاقية التي اعتمدها الشيخ السعدي في بناء فكره الأخلاقي؛ يجب التنبه إلى أنّ هناك مدارس أو اتجاهات أخلاقية داخل الإسلام كانت تدرس الأخلاق بطريقتها الخاصة بها:

– الاتجاه الأول: الفلسفة التقليدية التي يتبناها الكندي[٤٣] والفارابي[٤٤] وابن سينا[٤٥] وغيرهم، وركز هذا الاتجاه على الدراسة النظرية، وتدل كتاباتهم على شدة تأثرهم بالفلسفة اليونانية الدخيلة على العلوم الإسلامية.

– الاتجاه الثاني: المدرسة الكلامية، وقد لا نرى فيها مذهباً أخلاقياً متكاملاً يغطي كافة المشاكل الأخلاقية، فيما عدا بعض القضايا، مثل قضية الشر والخير والتحسين والتقبيح وما إليها.

– الاتجاه الثالث: المدرسة الصوفية، وهو تراث عميق وواسع، ولكن ظهر فيه كثير من البدع والخرافات باستثناء أهل القرون الأولى من الزهاد، الذين التزموا بالكتاب والسنة، وهؤلاء يمكن أن يعدوا من علماء الأخلاق حقيقة.

– الاتجاه الرابع:الاتجاه السلفي، ويمثله في بدايته أهل الحديث، الذين ركزوا على التزكية الروحية من خلال الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح[٤٦].

---

(٤٢) ص (٥٢).

(٤٣) أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي، يلقب بفيلسوف العرب، ولد بالكوفة ، تأثر بأرسطو وشرح كتابه في النفس، وله رسالة في العقل، وتوفي سنة ٢٦٠هـ. انظر : جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة (٥٢٨-٥٢٩).

(٤٤) أبو النصر محمد بن محمد بن طرخان، ولد في تركستان، درس المنطق والفلسفة والرياضيات، لقب بالمعلم الثاني، له رسالة في آراء أهل المدينة الفاضلة، تأثر فيها بكتاب الجمهورية لأفلاطون، توفي في دمشق سنة ٣٣٩هـ، انظر : جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة (٤٤٩-٤٥١).

(٤٥) أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا، ولد قرب بخارى، تضلع في علوم عديدة منها الطب والفلسفة والمنطق، له رسالة الحاصل المحصول، والقانون في الطب ، توفي سنة٤٢٨هـ، انظر: جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة (٢٦-٣٠).

(٤٦) انظر: الدكتور مصطفى حلمي، الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الكلام ص(١٠١-١٠٢).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

وبعد القرون المفضلة طغت الاتجاهات الثلاث الأولى، حتى جاء شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه؛ فأعادوا الأخلاق إلى مركزيتها، وأضافوها إلى مصادرها الصحيحة.

فكتب شيخ الإسلام كتابه" الاستقامة" و " التحفة العراقية" وغيرهما ، ثم ابن القيم في كتابه" مدارج السالكين" و " مفتاح دار السعادة"، وبعدهما جاء ابن مفلح في كتابه" الآداب الشرعية"، والسفاريني(٤٧) في " غذاء الألباب" وغيرهم كثير.

فالشيخ عبدالرحمن بن سعدي هو امتداد لهذه المدرسة السلفية التي نادت بالتزكية ومكارم الأخلاق على منهج السلف الصالح رحمهم الله تعالى جميعاً.

المطلب الأول: المصادر:

– المصادر لغة: جمع مصدر،وهو ما ينشأ عنه الشيء، من صدر ويصدر صدوراً.

يقال: وصدر الشيء عن غيره: أي نشأ، ويقال: فلان يصدر عن كذا: أي يستمد منه.(٤٨)

– المصادر اصطلاحاً: "الأصول والمنابع التي يُستمد منها المرء في سعيه للوصول إلى الحق".(٤٩)

وتكمن أهمية المصادر باعتبارها الطريق الموصل إلى الحقائق المختلفة،وبحسب المصدر ؛ يكون الوصول إلى الحقيقة قوة وضعفاً أو صواباً وخطأ؛ فقدم بعضهم العقل على النقل، وقدم آخرون الذوق على الشرع فضلوا !

ويعد الاعتماد على المصادر الضعيفة أو الخاطئة من أسباب نشأة الفرق والمذاهب، وشيوع الانحرافات السلوكية والخلقية.(٥٠)

فالشيخ السعدي– رحمه الله تعالى– كان مدركاً لأهمية الاعتماد على المصادر الصحيحة والبعد عن غيرها؛ فاعتمد على القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة وآثار السلف الصالح في أقواله واختياراته في مسائل الأخلاق وغيرها، فكان يشرحها، و

---

(٤٧) محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، أبو العون عالم بالحديث والأصول والأدب، له من الكتب: غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، والتحقيق في بطلان التلفيق وغيرها، انظر: الزركلي الأعلام (١٤/٦).

(٤٨) ابن منظور، لسان العرب، باب الراء فصل الصاد، المعجم الوسيط، مادة صدر.

(٤٩) د.عبد الله العمرو، الأخلاق بين المدرستين السلفية والفلسفية(مسكويه وابن القيم نموذجاً) ص (١٢٥) بتصرف يسير.

(٥٠) انظر : المرجع السابق ص(١٢٥-١٢٦).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

يبين ما فيها من إرشادات، وهدايات ربانية.

وكذلك اعتمد على الفطرة والعقل والعرف والمصلحة عندما يوازن بين الأقوال المختلفة، أو المسائل التي قد يختلف فيها الحكم في بعض تفاصيلها؛ فيرجح بالنظر إلى المصلحة والعرف، كما سنرى ذلك بعد قليل.

وشواهد اعتماده على هذه المصادر ، والاستنباط من خلالها كثيرة، فهذا منهجه في عامة كتبه ورسائله، ولعلنا نكتفي بذكر بعضها اختصاراً:

١- الشواهد العامة:

فمن ذلك نصه صراحة على هذه الأصول؛ فيقول:

"وقد تكفل الكتاب والسنة- على وجه التفصيل-ببيان جميع ما يحتاجه العباد من العقائد، والأخلاق، والأعمال، والحقوق، والمعاملات تفصيلاً وتوضيحاً، لو اجتمعت العقلاء كلهم، من أولهم إلى آخرهم، لم يقدروا على أن يأتوا بشيء يقاربه في الحسن، والتوضيح والإحكام..".(٥١).

ويقول في كتاب آخر: " النوع الثاني: من علوم القرآن الكريم ومقاصده علم الآداب والأخلاق الكاملة: القرآن الكريم كتاب تعليم وإرشاد، وكتاب تربية على أكمل الأخلاق، وأحسن الآداب، وأسمى الأوصاف، وحث عليها بكل وسيلة، وزجر عن ضدها، لا يوجد خلق كامل وإلاّ قد دلّ عليه القرآن.."(٥٢).

ويقول في مبحث حسن الخلق : " هذا هو مادة الأخلاق الجميلة كلها، وقد اتفق الشرع والعقل على حسنه، ورفعة قدره، وعلو مرتبته، ومداره على قوله تعالى : ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾[الأعراف:١٩٩]، أي خذ ما تيسر وعفا وتسهل من أخلاق الناس، ولا تطالبهم بما لا تقتضيه طباعهم.. وأما ما تأتي إليهم فالأمر بالمعروف، وهو نصحهم وأمرهم بكل مستحسن شرعاً، وعقلاً، وفطرة، وأعرض عمن جهل عليك"(٥٣).

ويقول في الفطرة خاصة: " والمقصود: أن الفطرة هي شاملة لجميع الشريعة، باطنها وظاهرها؛ لأنها تنقي الباطن من

(٥١) الرياض الناضرة ص (١٥٣).

(٥٢) فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن ص(١٠٤).

(٥٣) المرجع السابق ص(١١٩).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

الأخلاق الرذيلة، وتحلّيه بالأخلاق الجميلة"(٥٤).

وكذلك يتعرض للعرف والمصلحة عند شرحه لقاعدة من كتابه " القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن" : " القاعدة الحادية والعشرون: القرآن يجري في إرشاداته مع الزمان والأحوال، في أحكامه الراجعة للعرف والعوائد: وهذه قاعدة جليلة القدر، عظيمة النفع؛ فإن الله أمر عباده بالمعروف(وهو ما عرف حسنه شرعاً، وعقلاً، وعرفاً)، ونهاهم عن المنكر(وهو ما ظهر قبحه شرعاً، وعقلاً، وعرفاً).. فما كان من المعروف لا يتغير في الأحوال، والأوقات، كالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وغيرها من الشرائع الراتبة؛ فإنه أمر به في كل وقت، والواجب على الآخرين نظير الواجب على الأولين من هذه الأمة.. وماكان يختلف باختلاف الأمكنة، والأزمنة، والأحوال، هو المراد هنا؛ فإن الله تعالى يردهم إلى العرف، والعادة، والمصلحة المتعينة في ذلك الوقت.. وكذلك قال تعالى : ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ** ﴾[النساء: ١٩] و﴿**وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ** ﴾ [البقرة: ٢٢٨]. فردَّ الله الزوجين في عشرتهما وأداء حق كل منهما على الآخر على المعروف المعتاد عند الناس في قطرك، وبلدك، وحالك، وذلك يختلف اختلافاً عظيماً لا يمكن إحصاؤه عدّاً"(٥٥).

وقيّد في موطن العرف بشرط ألا يخالف الشرع فقال:

" وعلى العاقل أن يرمق أحوال الناس،فما رآه منتقداً عندهم من العادات والأخلاق والكلام والأفعال؛ تركه، إن لم يخالف الأوامر الشرعية، وما رآه محموداً من هذه الأشياء فعله.. وكل هذا بشرط أن لا يكون في الفعل أو الترك محذور شرعي، فإن كان فيه محذور شرعي؛ تعيّن تقديم الأمر الشرعي على كل عادة وعرف، وقد علمنا بالتتبع والاستقراء، أن كل عرف خالف الشرع فإنه ناقص مختل، وهذه قاعدة مطردة لا تُنتقض"(٥٦).

٢– الشواهد الخاصة:

وأقصد بها تلك الشواهد التي يذكرها في كل خلق من الأخلاق، وهذه تند عن الحصر، ولا بأس أن أذكر مثالاً أو مثالين على ذلك:

---

(٥٤) بهجة قلوب الأبرار ص (٤٨).

(٥٥) القواعد الحسان ص (٥٧-٥٨).

(٥٦) الرياض الناضرة ص(٢٢٤-٢٢٥).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

فقد استدل لخلق الرفق من الكتاب العزيز بقوله تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ .. الخ الآية ... ﴾[طه:٢٤]، ويستدل له أيضاً من السنة النبوية بأحاديث كثيرة منها: قوله ﷺ : "ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا كان العنف في شيء إلا شانه"(٥٧)(٥٨).

وفعل مثل هذا أو قريباً منه في ذات الكتاب مع خلق : الصدق والأمانة، والعدل، والنصيحة، والشجاعة، والرحمة والشفقة ،والمشورة والعلم ،والصبر والشكر،والتواضع، والعفة والغنى، وغيرها كثير.

ويستدل لبعض الأخلاق بالعقل، كما في خلق شكر من صنع لنا معروفاً، فقد قال رحمه الله تعالى: "ومن الآداب: أن تشكر من صنع إليك معروفاً، قولياً أو فعلياً أو مالياً، ولو يسيراً، وتبدي له الشكر.

وبهذا أمر الله ورسوله، وعلى هذا اتفق العقلاء"(٥٩).

وقد أسهب الشيخ في ذكر الأدلة لكل خلق أو قيمة خلقية في كتبه، خاصة في كتبه الأربعة: القواعد الحسان، وفتح الرحيم الملك العلام وبهجة قلوب الأبرار، والرياض الناضرة، والكتاب الأخير أكثرها وضوحاً وظهوراً، كما أنه يتعرض للأدلة كثيراً في تفسيره عند ذكره لأية قيمة أخلاقية قد ورد ذكرها في القرآن الكريم لفظاً أو مضموناً.

المطلب الثاني: الأسس:

– الأسس لغة: جمع أساس، من أسَ وأسس، أساً وأساساً.

ويقال: أسس البناء، أي وضع أساسه.

والأساس: قاعدة البناء التي يقوم عليها، وهو أصل كل شيء ومبدؤه(٦٠).

– أسس الأخلاق : يمكن تعريفها بأنها المبادئ التي تنبع منها الأخلاق، والقواعد التي تقوم عليها(٦١).

---

(٥٧) أخرجه مسلم، في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق (٢٠٠٤/٤) حديث رقم ٢٥٩٤، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٥٨) الرياض الناضرة ص (٨٤).

(٥٩) المرجع السابق ص(٢٢٢).

(٦٠) ابن منظور: لسان العرب، باب السين، فصل الألف، الفيروز آبادي، القاموس المحيط باب السين، فصل الهمزة، المعجم الوسيط، باب الهمزة.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

ودراسة الأسس الخلقية، ومعرفة أبعادها وتأثيرها في النفس البشرية في غاية الأهمية؛ لكونها تمنحنا القدرة على رعاية هذه الأسس وتنميتها، وتوجيه ما يحتاج منها إلى توجيه، ليعظم أثرها، و تنمو حتى تساهم في البناء الأخلاقي(٦٢).

وقد اهتم الشيخ بن سعدي بتجلية هذه الأسس في محاولة علمية وعميقة للدلالة على طرائق بناء الأخلاق والعمل بها:

١– الأساس الإيماني:

يأخذ بن سعدي رحمه الله تعالى بشمولية الإيمان ويرى بأنه (تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح) على منهج جمهور السلف الصالح(٦٣).

فيقول في بيان ذلك: " أما حد الإيمان وتفسيره، فهو : التصديق الجازم، والاعتراف التام بجميع ما أمر الله ورسوله بالإيمان به، والانقياد ظاهراً وباطناً، فهو تصديق القلب واعتقاده المتضمن لأعمال القلوب وأعمال البدن، وذلك شامل للقيام بالدين كله"(٦٤).

ثم يبين الشيخ أثر الإيمان وأن له دافعية للعمل بشعائر المسلم الدينية وأعماله الدنيوية :

" فهذه العقائد الصحيحة النافعة تملأ القلوب أمناً وإيماناً، ويقيناً ونوراً وهداية.. وتوجب للعبد قوة التوكل على الله، والاعتماد الكامل والاستعانة به في مزاولة الأعمال الدينية والدنيوية"(٦٥).

بل يوضح الشيخ أن الأعمال بدون هذا الأساس مصيرها إلى الزوال والاندثار:

" فكل أُسّ تنبني عليه هذه الأمور الجليلة سوى الإيمان فهو منهار، وكل رقيّ مادي لا يصحبه الإيمان فهو هبوط ودمار.."(٦٦).

ويشير الشيخ رحمه الله تعالى إلى مسألة الإرادة التي لها تأثير مباشر في الالتزام بالأخلاق أو التخلي عنها، ثم يشير إلى

---

(٦١) د.عبد الله العمرو: الأخلاق بين المدرستين السلفية والفلسفية ص (١٦٩).

(٦٢) المرجع السابق، ص (١٦٩) بتصرف يسير.

(٦٣) انظر: شيخ الإسلام ابن تيمية، مجموع الفتاوى (كتاب الإيمان) (١٧٠/٧).

(٦٤) انظر: الشيخ عبدالرحمن بن سعدي، التوضيح والبيان لشجرة الإيمان ص (١١٣)؟

(٦٥) الرياض الناضرة ص (١٣).

(٦٦) المرجع السابق ص (١٤).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

أثر الإيمان في تقوية الإرادة التي بدورها تقوي القلب، والقلب بقوته يجعل الأعمال البدنية تابعة له، ولا تتخلف عنه(٦٧).

بعد ذلك يعطي الشيخ أمثلة عديدة لثمرات الإيمان في مسألة الأخلاق، وسأذكر مقتطفات من نص طويل يشرح هذه المسألة ويجليها بشكل دقيق:

" وهذا الإيمان الصادق واليقين الصحيح يحمل صاحبه على العزة والقوة، والشجاعة القولية والفعلية، فإنه متى يتيقن العبد أن الله هو النافع الضار، المعطي المانع، وأن من اعتز به فهو عزيز، ومن التجأ لغيره فهو الذليل، وأن الخلق كلهم فقراء إلى الله، لا ينفعون ولا يضرون؛ أوجب له ذلك القوة بالله، والالتجاء إليه، وأن لا يخاف ولا يرجو أحداً غير الله، ولا يطمع إلا في فضله، وبهذا يتحرر من رق المخلوقين...".

ويتابع الشيخ في بيان ثمرات الإيمان وأثره على الأخلاق:

" ومن ثمراته أيضاً أن يسلّي العبد عند المصائب، ويهون عليه الشدائد..

في المقطع الأول من النص يشير الشيخ إلى ركيزتين من ركائز الإيمان تدفع للعمل والالتزام بالأخلاق وهي الخوف من الله والرجاء فيما عنده...أكمل!!

وفي لفتة دقيقة يبين الشيخ علاقة الأخلاق بالدين والإيمان والتوحيد، ففي حديثه عن خلق الرحمة يقول:

" فقوة القلب من آثارها : الصبر والحلم والشجاعة القولية والفعلية، والقيام التام بأمر الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ورحمة القلب من آثارها: الشفقة والحنو والنصيحة، وبذل الإحسان المتنوع، فأيّ أخلاق تقارب من هذه الأخلاق السامية الجليلة، فقوة القلب وشجاعته تنفي الضعف والخور، ورحمته تنفي القسوة والغلظة والشراسة.

وهذه الأخلاق الجميلة وإن كانت من علم الأخلاق والتربية على أحسنها؛ فإنها داخلة في علم التوحيد، كما دخل فيه الخوف والرجاء والدعاء وغيرها.

فهي من جهة التعبد لله تعالى والتقرب إليه داخلة في علم التوحيد، ومن جهة تكميلها للعبد وترقيتها لأخلاقه وتهذيب

(٦٧) المرجع السابق ص (١٣).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

النفوس وتزكيتها داخلة في علم الأخلاق"(٦٨).

ونراه في موطن آخر يربط بين العدل وهو من الأخلاق العظيمة والتوحيد؛ فيقول :

" فالتوحيد أصل العدل، والشرك ضده: أصل الظلم".(٦٩)

٢– الأساس الفطري:

يبين الشيخ رحمه الله تعالى في تفسير قوله تعالى :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠] بأن الله يأمرنا بالإخلاص له في جميع الأحوال، وإقامة دينه، أي نضع وجوهنا نصب الإسلام والإيمان والإحسان، وأن يتوجه أحدنا بقلبه وقصده وبدنه إلى إقامة شرائع الدين الظاهرة؛كالصلاة والزكاة والصوم والحج ونحوها، وشرائعه الباطنه؛ كالمحبة والخوف والرجاء والإنابة، والإحسان في الشرائع الظاهرة والباطنة؛ بأن تعبد الله فيها كأنك تراه، فإن لم تكن تراه؛ فإنه يراك.

وهذا الأمر الذي أمرناك به هو ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] ووضع في عقولهم حسنها واستقباح غيرها، فإن جميع أحكام الشرع الظاهرة والباطنة قد وضع الله في قلوب الخلق كلهم، الميل إليها، فوضع في قلوبهم محبة الحق وإيثار الحق وهذا حقيقة الفطرة.

ومن خرج عن هذا الأصل فلعارض عرض لفطرته أفسدها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"(٧٠)(٧١).

ويشرح في كتابه بهجة قلوب الأبرار الفطرة بالمعنى المتعلق بمسألة الأخلاق، فيقول:

---

(٦٨) فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن ص (١٢٠).

(٦٩) الرياض الناضرة ص (٣٥).

(٧٠) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب ماقيل في أولاد المشركين (١٠٠/٢)، حديث رقم ١٣٨٥، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه؛ أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب معنى "كل مولود يولد على الفطرة"، وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين(٤٨/٤) حديث رقم ٢٦٥٨، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص(٦٤٠).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

" الفطرة هي الخلقة التي خلق الله عباده عليها، وجعلهم مفطورين عليها، على محبة الخير وإيثاره وكراهية الشر ودفعه، وفطرهم حنفاء مستعدين لقبول الخير والإخلاص لله، والتقرب إليه"(٧٢).

في النصوص التي نقلتها قبلاً نرى الشيخ يوضح بكل دقة أحد وجوه الأساس الفطري، وهو أن الله فطر الخلق على استحسان الأخلاق الكريمة وقبولها، ومحبتها والميل إليها، ووضع في العقول والقلوب استقباح أضدادها.

أما الوجه الآخر من وجوه الأساس الفطري وهو استعداد النفس الفطري لقبول الفضيلة، ذلك أن الله سبحانه وتعالى أودع في النفوس معرفة أصول الأخلاق، وهيأها لقبول الحق، وأعدها لسلوك طريق الخير(٧٣).هذا الوجه قد أوضحه الشيخ السعدي في كتابه " تنزيه الدين":

" كذلك الآدمي خلقه الله مفطوراً على الاستعداد لمعرفة الحق وقبوله، ولو ترك وفطرته لم يعرض له ما يغيرّها من التربية السيئة، لما اختار غير الدين الحق"(٧٤).

(٧٢) بهجة قلوب الأبرار ص (٤٧).

(٧٣) انظر: عبدالله العمرو، الأخلاق بين المدرستين السلفية والفلسفية ص (١٧٦-١٧٨).

(٧٤) تنزيه الدين ص (٨٠).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

المبحث الثالث: مصفوفة الأخلاق عند الشيخ السعدي:

حاول العلماء أن يضعوا تصنيفاً وتقسيماً دقيقاً للقيم الأخلاقية، وهو ما يصطلح عليه المعاصرون بمصفوفة القيم، أو سلّم القيم، و أشهر من حاول إنشاء هذا السلّم القيمي فيما أعلم الراغب الأصفهاني رحمه الله تعالى؛ فجعل أصول الفضائل أربعة: الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدالة[٧٥]،ثم جاء بذات التقسيم من بعده الغزالي الذي تأثر بكتاب الراغب، حيث عرف عنه أنه كان دائماً يحمل كتاب الذريعة معه في حله وترحاله.[٧٦]وغيرهم من العلماء حاولوا ترتيب المتناثر وجمع المتباعد[٧٧]، والانتهاء بوضع مصفوفة قيم واضحة ودقيقة.

ويكاد يجمع الباحثون على صعوبة الاتفاق على سلّم قيمي واحد سواء بين المتقدمين أو المتأخرين، وأن القيمة الواحدة قد تتنازعها جهات عديدة باعتبارات مختلفة.

وقبل أن نشير إلى محاولة الشيخ السعدي في وضع مصفوفة للقيم الأخلاقية كانت معتمدة على الشريعة دون أي فلسفة أخرى؛ أحب أن أتناول مسألتين لهما علاقة مهمة بمسألة المصفوفة القيمية أو البناء القيمي الدقيق في فكر الشيخ رحمه الله تعالى :

المطلب الأول : توسيع مفهوم القيمة ومعانيها:

عند قراءة تراث الشيخ نلحظ أنه يعطي للقيمة أبعاد ومعاني واسعة تمنح القارئ هدايات عظيمة وحسن تصور لشمول الشريعة وعمومها، فعند حديثه عن قيمة الأمانة ووجوب أدائها يقول :

" وهذا شامل لجميع الأمانات: من الولايات الصغار والكبار، وأمانات الأموال والحقوق والأسرار وغيرها"[٧٨].

وفي بيانه لمعنى البر يقول :

" والبر : اسم جامع لكل خير، وطاعة الله، وإحسان إلى الخلق"[٧٩].

---

(٧٥)انظر: الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة (٦٤-٦٨)، وإن كنت أرى التقسيم هذا فلسفي قديم مأخوذ من التراث اليوناني!

(٧٦)انظر: كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي (٢٠٩/٥).

(٧٧)انظر: د.شوكت طلافحة، الأخلاق في آيات الأحكام ص (٢٤٠-٢٤٤).

(٧٨) الرياض الناضرة ص(٣٢).

(٧٩) المرجع السابق ص (٣٣).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

وعنده الإحسان هو :" بذل جميع المنافع من أي نوع كان، لأي مخلوق يكون، ولكنه يتفاوت بتفاوت المحسَن إليهم، و حقهم ومقامهم، وبحسب الإحسان، وعظم موقعه، وعظيم نفعه، وبحسب إيمان المحسن وإخلاصه، والسبب الداعي له إلى ذلك"(٨٠).

وكانت هذه مجرد أمثلة، وتراث الشيخ مليء بمثل هذه المفاهيم القيمية.

المطلب الثاني: العلاقة بين القيم الأخلاقية والتقسيمات البديعة لها:

وفي هذا النوع من التأصيل الأخلاقي وتقريب المعاني نجد الشيخ قد أبدع في هذا الجانب كثيراً، ومن ذلك:

يبين الشيخ رحمه الله تعالى– لما تحدث عن قيمة حسن الخلق وأنه مادة الأخلاق الجميلة– بأنه مستمد من الصبر والحلم وسعة العقل، ثم بيّن أن هذا الخلق العظيم يتولد عنه خلق الرحمة(٨١).

وفي مثال آخر لرسم هذه العلاقات القيمية يوضح الشيخ بعد أن أفاض في بيان منزلة خلق الشجاعة وأثاره الجميلة، بأنه خلق متولد عن الصبر، الذي وصفه بأنه الخلق الجامع، وهو الأساس الأكبر لكل خلق جميل(٨٢).

وفي موطن آخر يوضح بأن الإخلاص والتوكل والشجاعة أخلاق متلازمة، يمد بعضها بعضاً، ويستعين بعضها ببعض، وصاحبها في علو مطرد، وأضدادها بالعكس(٨٣).

ويشير الشيخ إلى علاقة مهمة في البناء الأخلاقي الإسلامي الصحيح، وهي أن شعب الإيمان، وكثير منها يتعلق بالأخلاق "أصلها وأساسها قول: لاإله إلا الله صادقاً من قلبه، بحيث يعلم ويوقن بأنه لايستحق هذا الوصف العظيم، وهو الألوهية إلا الله وحده؛ فإنه هو ربه الذي يربيه، ويربي جميع العالمين بفضله وإحسانه، والكل فقير وهو الغني، والكل عاجز وهو القوي، ثم يقول في كل أحواله بعبادته لربه، مخلصاً له الدين؛ فإن جميع شعب الإيمان فروع وثمرات لهذا الأصل.."(٨٤).

---

(٨٠) بهجة قلوب الأبرار ص (١١٣).
(٨١) انظر : فتح الرحيم الملك العلام ص (١١٩-١٢٠).
(٨٢) انظر : المرجع السابق ص (١١٢-١١٣).
(٨٣) انظر: الشيخ السعدي: الرياض الناضرة، ص (٥١).
(٨٤) بهجة قلوب الأبرار ص (١٤٢).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

أما ما يتعلق بالتقسيمات البديعة للقيم الأخلاقية عند الشيخ السعدي رحمه الله تعالى، فمن أمثلتها :

تقسيمه حسن الخلق إلى نوعين:

١- النوع الأول : حسن الخلق مع الله، وهو أن تتلقى أحكامه الشرعية والقدرية بالرضا والتسليم لحكمه..

٢- النوع الثاني: حسن الخُلق مع الخلق، وهو بذل الندى، واحتمال الأذى، وكف الأذى..(٨٥)

وكذا عند حديثه عن قيمة الجمال يضعه في نوعين:

١- الجمال الظاهري: كالنظافة في الجسد، والملبس والسكن، وتوابع ذلك.

٢- والجمال الباطني: وهو التجمل بمعاني الأخلاق ومحاسنها.(٨٦)

كما أنه قد قسم الإحسان إلى نوعين: إحسان بالمال وإحسان بالعلم(٨٧)، وفي موطن آخر قسمه إلى الإحسان القولي والإحسان الفعلي وفصل في بيانها(٨٨)، وفي موطن ثالث يضعه في نوعين: واجب ومستحب وغيرها كثير.

كل هذا يدل بكل وضوح على اعتناء الشيخ بعلم الأخلاق الإسلامية والتبحر في تفهم معانيها البعيدة ومقاصدها العظيمة في الدنيا والآخرة.

---

(٨٥) انظر: الشيخ عبدالرحمن السعدي، بهجة قلوب الأبرار ص(١٢٧).

(٨٦) انظر: المرجع السابق ص (١٣١).

(٨٧) انظر: المرجع السابق ص(١٦٤).

(٨٨) انظر: المرجع السابق ص(٤١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

المطلب الثالث : أصول الفضائل:

أشرت في مدخل هذا المبحث إلى اجتهاد العلماء في محاولة وضع مصفوفة قيمية، وقد تأثر بعضهم بالتراث اليوناني وغيره، ولكن الشيخ السعدي رحمه الله تعالى استخرج مصفوفة قيمية، تتعلق ببيان أصول الفضائل، وكان معتمداً فيها على النظر في الشريعة نفسها، دون التأثر بأي دين أو ثقافة خارجية؛ فيقول في كتابه " الرياض الناضرة " :

" أصول الفضائل ثلاثة: العلم، الدين، الجهاد، وأما العلم فهو الذي تقوم عليه الأدلة والبراهين: فكل مادخل في هذا الحد الجامع، قيل له : علم.

فيدخل في ذلك : العلوم التي يتوسل بها إلى الدين، وإلى الدنيا، وإلى كل مقصود وحقيقة.. وأما الدين الصحيح، فهو طاعة الله وطاعة رسوله، بتصديق خبرهما، والاعتراف به، والتعبد لله بذلك، وامتثال أمرهما، واجتناب نهيهما..

والجهاد وحدّه: بذل الجهد القولي والفعليّ، بتنفيذ أمر الله وأمر رسوله في النفس وفي الغير، وذلك تبع القدرة والاستطاعة؛ فمن أكمل هذه الصفات الثلاث : العلم، والدين، والجهاد؛ كان أكمل وأفضل وأرفع عند الله تعالى درجة"(٨٩).

ثم بيّن رحمه الله تعالى وجه الحصر، ورجوع الفضائل كلها إلى هذه الثلاث؛ بأن النقص الحاصل على الإنسان، إما يكون لفقد العلم، فيقع في الضلال والجهالة،وإما أن يكون عارفاً بذلك، ولكن لا يعمل بعلمه، فهذا حصل له النقص لا من جهة عدم المعرفة، بل لعدم دينه؛ لأن الدين الحق يسيّر العبد في مسالك الخيرات والمنافع، ويمنعه من المضار والمهالك.

وإما أن يكون عارفاً وعاملاً في خاصة نفسه، ولا يسعى في هداية غيره، وقد استولى عليه الكسل والجبن والخور، عن الجد والاجتهاد في إصلاح الغير، والسعي في دفع الصائل، فهذا نقصه لفقد اتصافه بالجهاد الصحيح.ثم ختم هذا البيان بقوله:

"فمن كملت فيه هذه الأمور الثلاثة، فهو السابق إلى الخيرات، المستولي على الفضائل، حيث عرف الحق فاتبعه، والباطل فاجتبه، وجاهد نفسه وغيره للاستقامة على الصراط المستقيم؛ فأي فضيلة لم تحصل له؟ وأي خصلة حميدة لم يدركها؟"(٩٠).

و هذا يؤكد لنا مرة ثانية تعمق الشيخ في معرفة حقيقة الأخلاق وأسبابها، واهتمامه بهذه الأصول.

و هذا الاستنباط الدقيق أثر من آثار عناية الشيخ بالقرآن الكريم والسنة النبوية بفهم السلف الصالح رضي الله عنهم أجمعين.

---

(٨٩) ص(١٦٦).

(٩٠) الرياض الناضرة، ص (١٦٧).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

المبحث الرابع : قضايا وقواعد الأخلاق عند الشيخ السعدي:

المطلب الأول : القضايا الأخلاقية:

– وقد تعرض الشيخ رحمه الله تعالى لجملة من القضايا الأخلاقية التي كانت ظاهرة في التراث الإسلامي، وأحياناً كانت مثار جدل ونقاش بين العلماء على امتداد التاريخ، وسأقتصر على أهم هذه القضايا الأخلاقية، كطبيعة الأخلاق، وهي فحوى سؤال معروف: هل الأخلاق فطرية أو مكتسبة؟، وصنوها قضية"تهذيب الأخلاق،" والثانية قضية السعادة.

١– طبيعة الأخلاق، هل الأخلاق فطرية أو مكتسبة؟ (تهذيب الأخلاق).

يذهب الشيخ السعدي إلى القول بأن الأخلاق منها ما هو فطري، ومنها ما هو كسبي، وكثيرة هي المواطن التي تحدث فيها عن هذه المسألة، فعند حديثه عن خلق الرحمة في كتابه " بهجة قلوب الأبرار" قال:

" والرحمة التي يتصف بها العبد نوعان:

النوع الأول : رحمة غريزية، قد جبل الله بعض العباد عليها، وجعل في قلوبهم الرحمة والحنان على الخلق..

والنوع الثاني: رحمة يكتسبها العبد بسلوكه كل طريق ووسيلة تجعل قلبه على هذا الوصف، فيعلم العبد أن هذا الوصف من أجل مكارم الأخلاق وأكملها.."(٩١).

كما أنه يشير إليها في كتابه الآخر" فتح الرحيم الملك العلام " عند حديثه عن خلق الشجاعة:

" وهذا الخلق الجليل قد يكون غريزة في العبد، ويتقوى بموجبات الإيمان، وقد يحتاج العبد إلى التمرن عليه، وسلوك الطرق المعينة على ذلك.."(٩٢).

وإذا عرفنا بأن الشيخ كان يرى هذا التقسيم الأخلاقي بين الفطرية والاكتساب؛ فقد سعى في كتبه كثيراً إلى تعريف المسلم بالطرق التي يسلكها من أجل نقله من الأخلاق السيئة إلى الأخلاق الحسنة.

وكان يرى أن التهذيب الأخلاقي يكون على مستويين: المستوى العلمي النظري، والمستوى العملي السلوكي، وهو ما يطلق عليه " الرياضة" ويعرفها بأنها :

" التمرّن والتمرين على الأمور التي تنفع في العاجل والآجل، والتدرب على سلوك الوسائل النافعة التي تُدرك بها المقاصد

---

(٩١) ص(١٤٩–١٥٠).

(٩٢) ص (١١٢).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

الجليلة.."[٩٣].

ويقسم الشيخ هذه الرياضة إلى ثلاث رياضات: رياضة الأبدان، ورياضة الأخلاق، ورياضة الأذهان.

وما يهمنا هنا رياضة الأخلاق، "وهي رياضة عظيمة صعبة على النفوس، ولكنها يسيرة على من يسرّها الله عليه، ونفعها عظيم، وفوائدها لا تنحصر"، وبعد أن أوضح الشيخ أهميتها وأثرها على الإنسان؛ أعطى نموذجاً لهذه الرياضة، فيقول:

" أن يمرّن العبد نفسه على القيام بما أوجبه الله عليه، ويكمله بالنوافل على وجه المراقبة والإحسان، كما قال ﷺ في تفسير الإحسان في عبادة الله:

" أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه؛ فإنه يراك"[٩٤].

فيحاسب العبد نفسه على القيام بها على الوجه الأكمل، أو ما يقاربه، ويقاطعها على تكميل الفرائض، والجدّ على إيقاعها على أكمل الوجوه.

وكلما رأى من نفسه قصوراً أو تقصيراً في ذلك، جاهدها وحاسبها، وأعلمها أن هذا مطلوب منها..

فلا يزال العبد يمرّن نفسه على ذلك حتى يكون الإخلاص له طبعاً، ومراقبة الله له حالاً ووصفاً، وبذلك يكون من المخلصين المحسنين، وبذلك تهون عليه الطاعات، وربما استحلى في هذا الطريق مشاق الطاعات"[٩٥].

وضرب أمثله كثيرة على هذا التمرّن في الرياضة الأخلاقية، ثم بين أن ما يفسد هذه الرياضة ويقطعها عن تحقيق أهدافها هو أن النفس مجبولة على الكسل، وعدم النهوض إلى المكارم، فهو بحاجة إلى مجاهدتها حتى الصلاح.

وقد أورد رحمه الله تعالى عند حديثه عن خلق العفة والغنى قول النبي ﷺ :" من يستعفف يعفه الله، ومن يستغني يغنه الله"[٩٦]، ثم علق عليه بقوله :

---

(٩٣) الرياض الناضرة ص(١٤٨).

(٩٤) أخرجه البخاري كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة (١٩/١) حديث رقم ٥٠، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ؛ ومسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة(٣٦/١) حديث رقم ٨، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٩٥) الرياض الناضرة ص(١٤٩-١٥٠).

(٩٦) أخرجه البخاري كتاب الزكاة، باب لاصدقة إلا عن ظهر غنى (١١٢/٢) حديث رقم ١٤٢٧ ، من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

هذا خبر منه ﷺ ووعد، وترغيب في الاستعفاف، والاستغناء عن الخلق.

والفرق بين الأمرين فرق ما بين الوسيلة والمقصود، وما بين اللازم والملزوم"(٩٧).

وهذه الجملة الأخيرة هي مسألة العمل على الرياضة الأخلاقية (الوسيلة) لتحقيق المقصود (خلق التعفف والاستغناء)، وهي عمل فيه قدر كبير من الاجتهاد حتى تحصيل العفة والاستغناء، بحسب ما يقتدر عليه ويستطيعه من الأسباب.

و في أثناء حديثه عن خلق الصبر؛ يبرز الشيخ وجهاً آخر من الوجوه التي تساعد المرء على الوصول إلى الخلق المرغوب فيه، وهو العلم بما في الطاعات من الخيرات العاجلة والآجلة، وما في المعاصي من الأضرار العاجلة والآجلة، وما في الصبر على المصائب من الثواب الجزيل، والأجر الجميل، سهل الصبر على النفس، وربما أتت بهم منقادة مستحلية لثمراته(٩٨).

وأطال في مسألة الثواب والعقاب وأثرهما في الامتثال الأخلاقي في (الفصل العشرون) من كتابه "الرياض الناضرة" : (في ذكر بعض الأسباب التي أعان الله بها المؤمنين على أداء الفرائض وعلى اجتناب المحرمات ..) وذكر تحته أيضاً فضل معرفة العبد بالشريعة، فقال : " وكلما كانت معرفته أكمل، وإيمانه أتم؛ ظهر له من بركة الشريعة وخيرها ما يوجب له أنها أكمل منّة، وأفضل نعمة أنعم الله بها على العباد، وأنها أعظم ما يتنافس فيه المتنافسون، ويغتبط به المغتبطون"(٩٩).

كل ما سبق يتعلق بالتهذيب الأخلاقي للإنسان في خاصة نفسه، أما فيما يتعلق بتهذيب أخلاق الآخرين، كسائر الناس، والأولاد؛ فالشيخ يزيد على هذا مسلكاً في غاية الأهمية في العلاج الأخلاقي، وهو الرفق والحكمة، ويقول في هذا:

" ومما يعين المعلم والمذكر: معرفة طبائع الناس وأخلاقهم، والوسائل التي يؤتون من جهتها، والرفق أصل كبير في هذا وغيره، قال ﷺ : " ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا كان العنف في شيء إلا شانه"(١٠٠)، وكذلك تسلك الحكمة في تقوية الصداقات، وتخفيف العداوات، وما سُلكت في شيء أبلغ ولا أنفع من قوله تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ [فصلت: ٣٤].

وكذلك تُسلك الحكمة في معاملة الأولاد ومعاشرة الزوجات، فإنه يُراد منهم أمران عظيمان:

---

(٩٧) الرياض الناضرة ص(١٥٨).

(٩٨) انظر : الشيخ السعدي، فتح الرحيم الملك العلام ص(١١٤-١١٥).

(٩٩) الرياض الناضرة ص(١٠٢-١٠٣).

(١٠٠) سبق تخريجه ص (٢٣).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

١- إصلاحهم وتقويمهم وتهذيبهم؛ لتقوية دينهم وتربية أخلاقهم.

٢- أنه يراد منهم القيام بحق الوالدين، وبالعشرة الواجبة والمستحبة بين الزوجين، وذلك أيضاً يدعوهم إليه بالحال والمقال، وبالحكمة والرفق"(١٠١).

قضية السعادة:

من الثابت- كما يذكر مؤرخو الأخلاق- بأن البحث عن السعادة، ودراستها دراسة علمية واسعة؛ كانت أحد أهم محاور التفكير الأخلاقي عبر التاريخ، عند اليونانيين وغيرهم.

ومن الثابت أيضاً أن هذه القضية شغلت الفكر الإسلامي منذ زمن مبكر، وقد بينت من قبل الاتجاهات الأخلاقية في الفكر الإسلامي وطريقة دراستها للأخلاق(١٠٢)، ومنها بلاشك قضية السعادة.

وعلى الرغم من حرص الناس جميعاً على الفوز بالسعادة و السعي في تحصيلها، إلا أنهم تباينوا كثيراً في فهم حقيقتها، وقد ذكر أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى صوراً متعددة من جهل الناس بها والخطأ فيها، حيث قسمهم إلى أربع فرق:

- الأولى : زعمت أن غاية الطلب في الدنيا هو قضاء الأوطار،ونيل الشهوات، وإدراك اللذات البهيمة من منكح ومطعم وملبس، وهؤلاء عبيد اللذة يعبدونها، ويعتقدون أن نيلها غاية السعادات.
- الثانية: رأت السعادة في الغلبة والاستيلاء، والقتل، والأسر، وهؤلاء رضوا بأن يكونوا بمنزلة السباع.
- الثالثة: ترى غاية السعادة في كثرة المال؛ لأن المال هو آلة قضاء الشهوات كلها.
- الرابعة: وهذه تعاقلت، وزعمت أن غاية السعادة في اتساع الصيت والجاه، وكثرة الاتباع، ونفوذ الأمر بين الناس.

ولا شك أن الفرق السابقة كلها مخطئة، حيث قصرت السعادة على الملذات الدنيوية، وغفلت عن أرقاها وأصحها، وهي أن تجمع بين حياة الروح والبدن والعقل في منظومة واحدة تتسم بالتكامل والتناسق، ولا يحيف جانب فيها على الآخر(١٠٣).

وقد مضى معنا مثل هذا التوازن والنظرية المتكاملة في كلام الشيخ رحمه الله تعالى لما تحدث عن الرياضة بأنواعها: رياضة الأذهان، ورياضة الأبدان، ورياضة الأخلاق!

---

(١٠١) المرجع السابق ص(٨٤-٨٥).

(١٠٢) ص(٢٠).

(١٠٣) انظر : أبو حامد الغزالي، مشكاة الأنوار ص(٨٥).و د.أحمد قوشتي، نظرية السعادة بين الغزالي وبن تيمية ص(١٨).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

وكان ابن سعدي رحمه الله على طريقة السلف الصالح؛ فهو يرى بأن السعادة الحقيقية تكون بالدين، والإيمان؛ ولذا عندما بسط الحديث في كتابه" الوسائل المفيدة للحياة السعيدة" بين أن أسباب السعادة التي تحقق طمأنينة القلب وسروره، قد تكون دينية، أو أسباب طبيعية، أو أسباب عملية.

ثم بين أن هذه الأسباب الثلاثة لا تجتمع إلا للمؤمنين، وأما من سواهم، فإنها وإن حصلت لهم من وجه، فقد تفوتهم من وجوه قد تكون أنفع وأثبت وأحسن حالاً ومآلاً.

ثم أشار رحمه الله أن الناس على ثلاثة أحوال مع السعادة، منهم من أصاب الأسباب فعاش عيشة هنيئة، ومنهم من أخفق فيها كلها وحيي حياة الأشقياء، ومنهم من هو بين بين، بحسب ما وفق له(١٠٤).

ولما ساق الأسباب في كتابه بدأ بالإيمان والعمل الصالح، وذكر بأنه أعظم الأسباب وأصلها وأسها، وبين أثر الإيمان في تلقي النعم والمحاب، وأثره في تخفيف ما يمكن تخفيفه من الهم والغم وعموم المكاره.

ثم سرد الشيخ أسباباً تتعلق بالإيمان مثل الإحسان إلى الناس قولاً وعملاً، وأسباب مشتركة بين المؤمن وغيره، مثل الاشتغال بعمل من الأعمال أو علم من العلوم النافعة، ولكن المؤمن يفضل غيره بأنه قد يحيل هذا العمل الدنيوي إلى عبادة إذا أخلص فيها واحتسب وقصد الاستعانة بذلك على طاعة الله.

وأشار في هذه النقطة إلى ذكر الله في جلب الطمأنينة إلى القلب وراحته.

بعد ذلك يشير الشيخ إلى أسباب في غاية الأهمية، وهي ترتكز على العمل، مثل السعي في إزالة الأسباب الجالبة للهموم، وتحصيل الأسباب الجالبة للسرور، ومثل تقدير أسوأ الاحتمالات، وهو أسلوب لتخفيف وطأة الألم والنكبات التي قد يصاب بها المرء في الحياة(١٠٥).

إلى غيرها من الأسباب المفيدة بحق في طريق الوصول إلى السعادة.

---

(١٠٤) انظر: الشيخ السعدي، الوسائل المفيدة ص (٤١).

(١٠٥) المرجع السابق ص(٤٦-٥٨).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

المطلب الثاني: القواعد الأخلاقية:

وأقصد بالقاعدة الأخلاقية– كما في إشارة الشيخ السعدي نفسه– بأنها تعني الميزان الدقيق أو الصحيح لإدراك حقيقة أي قول أو فعل، ومدى قربه أو ابتعاده من الأخلاق الصحيحة، وقد يعبر عنها أحياناً بالأصول(١٠٦).

وقد نثر الشيخ السعدي في كتبه جملة من هذه القواعد، وحتى لا يتضخم البحث؛ سأكتفي بذكر قاعدتين، أرى بأنهما من أهم القواعد الأخلاقية، وهي كما يلي:

١- القاعد الأولى (أن تعامل الناس بما تحب أن يعاملوك به).

فقد أورد في كتابه " بهجة قلوب الأبرار في شرح جوامع الأخبار" حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : " من أحبّ أن يُزحزح عن النار، ويُدخل الجنّة؛ فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأتِ الناس الذي يُحب أن يؤتى إليه"(١٠٧).

وبيّن فيه أن غاية المؤمنين أن يزحزحوا عن النار ويدخلوا الجنة، وهذا يكون كما في الحديث بسببين:

- الإيمان بالله واليوم الآخر.
- والإحسان إلى الناس.

وفصّل في شرح الإحسان إلى الناس، وأنه يتضمن الوصول إليهم بالقول والفعل والمال والمعاملة بما يحب أن يعاملوه به،ثم قال :

" وهذا هو الميزان الصحيح للإحسان وللنصح؛ فكل أمرٍ أشكل عليك مما تعامل به الناس، فانظر: هل تُحب أن يعاملوك بتلك المعاملة أم لا؟ فإن كنتَ تحب ذلك: كنت محباً لهم ما تحب لنفسك، وإن كنت لا تحب أن يعاملوك بتلك المعاملة: فقد ضيّعت هذا الواجب العظيم"(١٠٨)!

وفي مواضع عديدة من كتبه رحمه الله تعالى لما يحاول بيان فضائل الأخلاق، أو بعض مفاسدها يقيمها على هذا الميزان،

---

(١٠٦) بهجة قلوب الأبرار ص(١٦٦).

(١٠٧)واه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول (٤٧٢/٣)حديث رقم ١٨٤٤، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(١٠٨) بهجة قلوب الأبرار ص (١٦٦).

ويضرب بها المثل كثيراً.

٢- القاعدة الثانية: (التوسط في كل الأمور والاعتدال والاقتصاد).

وقد أوضح هذه القاعدة وجلاها في كثير من كتبه رحمه الله تعالى، ومن ذلك ما ذكره في كتابه "فتح الملك العلام" بأن هذه القاعدة الأخلاقية قد دلّ عليها القرآن الكريم في آيات كثيرة عامة وخاصة، وأورد بعض الآيات التي تضمنت الأمر بالعدل والقسط، ثم ضرب أمثلة على هذا التوسط في أخلاق الأمة المسلمة، وأنها وسط في كل أمورها، فهم وسط في الإيمان بالأنبياء، والقيام بحقوقهم بين من غلوا فيهم حتى جعلوا لهم أو لبعضهم من حقوق الله الخاصة ما جعلوه، من الغلو فيهم والعبادة لهم، وبين من جفوهم، فكفروا ببعضهم أو لم يقوموا بحقهم.

وضرب مثالاً للاعتدال والتوسط في النفقات، وذكر بأن الاعتدال في النفقة أحد قسمي الرشد، فالرشد الذي هو معرفة تدبير الدنيا: أن يعرف الطرق التي يحصل فيها، فيسلك النافع منها، ثم إذا حصلت عرف كيف يصرفها ويبذلها، وعلم التدبير من العلوم النافعة ديناً ودنياً، وشرعاً وعقلاً[١٠٩]!

و مما ينبغي الإشارة إليه أن الشيخ أحياناً يذكر قاعدة الاعتدال مع ما يقاربها و يشاكلها مثل قاعدة الصلاح؛ ولذا لم أفردها في قاعدة مستقلة.

ففي كتابه" القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن" ذكر القاعدة الخامسة والأربعون:

(حث الباري في كتابه على الصلاح والإصلاح)، ثم قال في شرحها:

" هذه القاعدة هي من أعمّ القواعد، فإن القرآن يكاد يكون كله داخلاً تحتها، فإن الله أمر بالصلاح في آيات متعددة والإصلاح، وأثنى على الصالحين والمصلحين في آياتٍ أُخر"[١١٠].

وأوضح أن المقصود بالصلاح : " أن تكون الأمور كلها مستقيمة معتدلة"[١١١]!

فهنا يضع الاعتدال موضع الصلاح، وحقيقتهما : السعي في الكمال الممكن حسب القدرة بتحصيل المصالح أو

(١٠٩) فتح الملاك العلام ص(١١٦-١١٧).

(١١٠) القواعد الحسان ص(١٠٠).

(١١١) المرجع السابق ص (١٠٠).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

تكميلها، أو إزالة المفاسد والمضار، أو تقليلها، الكليّة والجزئية، المتعدية والقاصرة(١١٢).

وبكل ما سبق يتضح بجلاء بأن للشيخ السعدي رحمه الله تعالى نظرية أخلاقية مكتملة الأركان، مشتملة على المصادر، والأسس، والقضايا الأخلاقية وقواعدها، مع تأصيل علمي رفيع، قل وجوده في تراث المتأخرين!

(١١٢) انظر: الشيخ السعدي، القواعد الحسان ص(١٠١).

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

الخاتمة

وفي ختام البحث أحمد الله تعالى أن أعانني ووفقني لإتمامه، كما أسأله سبحانه أن يكتب له النفع والقبول، وفيما يلي أبرز النتائج التي توصلت إليها، وأهم التوصيات:

أولاً: النتائج:

١-اتضح لي بجلاء بأن الأخلاق الإسلامية كانت قضية مركزية في فكر وتراث الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، وهي ثالث القضايا بعد الاهتمام الفائق بالعقيدة والشريعة.

٢-امتاز المنهج الأخلاقي عند الشيخ السعدي بالبعد عن التكلف، والخوض فيما لا منفعة فيه.

٣-اتبع الشيخ في منهجه الأخلاقي منهج السلف الصالح، حيث اعتمد على المصادر الشرعية المعتبرة كالقرآن الكريم، والسنة النبوية، والاجماع والقياس، واعتمد بعض المصادر الأخرى، كالمصلحة والعرف وغيرها، بشرط أن يكون اعتبارها صحيحاً، وأن لا تستقل بالمصدرية.

٤-ظهر لي براعة الشيخ السعدي في تسهيل العلم وتقريبه مع العمق الشديد، حيث اعتنى بالمفاهيم الأخلاقية، وتقاسيم الأخلاق، وناقش أبرز قضايا الأخلاق، مثل قضية السعادة وغيرها، وعرضها عرضاً علمياً قل نظيره.

ثانياً: التوصيات:

١- ضرورة دراسة تراث الشيخ ابن سعدي بتوسع، حيث هناك جوانب عديدة في تراثه شبه مهملة، مثل الجوانب الثقافية، والأخلاقية، والدراسات المستقبلية، ومحاسن الإسلام؛ فتراث الشيخ موسوعة علمية لا يستهان بها.

٢- أحث طلاب العلم ونفسي على مواصلة الجهد في إبراز آثار السلف الصالح في المجال الأخلاقي، وإسهاماتهم المتفردة والمتميزة.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

د.محمد بن نايف بن مطر المطيري

The moral approach of Sheikh Abdulrahman Al-Saadi
-A descriptive-analytic study-

Dr.Mohammed bin Nayef bin Matar Al-Mutairi
Assistant professor at the faculty of Da'wah and Fundamentals of Religion at the Islamic university

Research summary

Research title: The moral approach of Sheikh Abdulrahman Al-Saadi - a descriptive-analytic study-.

The introduction contains key research elements: the importance of the topic, the reason for choosing it, research objectives, research questions, previous studies, research methodology, and it's detailed plan.

Introduction: Introducing the search terms (approach, morals) and a brief overview of Sheikh Abdulrahman bin Nasser Al-Saadi.

First topic:It discusses the centrality of morality of Sheikh Al-Saadi **through:** his writings about morals and the moral texts he focused on his heritage.

Second topic: It discusses sources and foundations of morals for Sheikh Al-Saadi.

Third topic :It discusses the values matrixfor Sheikh Al-Saadi, and his interest in the concept of value and the relationships between values and origins of virtues.

Fourth topic :it discussesmoral issues and roles for Sheikh Al-Saadi.

Research objectives:

The research aims to explain the moral approach in the heritage and thoughts of Sheikh Abdulrahman Al-Saadi, and highlighting the original and creative aspects of Sheikh Al-Saadi's rooting, advocating, and defending Islamic values

Research methodology:

This research required the use of more than one method, such as the inductive and descriptive method in collecting the scientific material, then the analytic method in analyzing and studying the data, and then drawing conclusions, while adhering to the method of writing scientific research in punctuation marks, margins and documentation of sources.

Research results:

The research showed the great care of Islamic morality in the heritage of Sheikh Al-Saadi through the Holy Qur`an, the Prophet's Sunnah, or the saying of the righteous predecessors, Sheikh Al-Saadi's clarification of the merits of Islamic values, and the discussion of dissenting opinions in a convincing manner based on scientific evidence.

Keywords: approach, morals, Al-Saadi.

المصادر والمراجع :

١- ابن عثيمين الإمام الزاهد،الدكتور ناصر بن مسفر الزاهراني، الدمام–دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
٢- إحياء علوم الدين، أبوحامد الغزالي، بيروت، دار المعرفة ، ١٩٨٢م.
٣- أخلاق الداعية في الإسلام وتطبيقاتها في الميدان الدعوي، الأردن، عالم الكتب الحديث،الطبعة الأولى،٢٠١٣م.
٤- الأخلاق بين العقل والنقل، أ.د أبو اليزيد أبوزيد العجمي، الطبعة الأولى، مصر–القاهرة–دار السلام ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.
٥- الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الكلام، الدكتور مصطفى حلمي، لبنان- بيروت — دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م..
٦- الأخلاق بين المدرستين السلفية والفلسفية(مسكويه وابن القيم نموذجاً) د. عبدالله العمرو، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض
٧- الأخلاق في آيات الأحكام، د.شوكت طلافحة،الأردن، عالم الكتب للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى،٢٠٢٠م.
٨- الأعلام–قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الزركلي ،بيروت–دار العلم للملايين، الطبعة العاشرة ١٩٩٢م.
٩- بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، بيروت- عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
١٠- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، تحقيق: عبد الحليم النجار–رمضان عبد النواب، القاهرة، دار المعارف ، الطبعة الخامسة،١٩٧٧م.
١١- تنزيه الدين وحملته ورجاله مما افتراه القصيمي في أغلاله، الشيخ عبد الرحمن السعدي، المجموعة الكاملة، عنيزة، الثقافة الإسلامية، الطبعة الثانية، مركز صالح بن صالح الثقافي ١٤١٢هـ.
١٢- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، تحقيق: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
١٣- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، ا الشيخ عبد الرحمن السعدي، لمجوعة الكاملة، عنيزة، الثقافة الإسلامية، الطبعة

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

الثانية، مركز صالح بن صالح الثقافي،١٤١٢هـ.

١٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

١٥- الجهود الدعوية والعلمية للشيخ عبد الرحمن بن سعدي، د. عبدالله الرميان ، الرياض- دار المسلم، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ .

١٦- حسن الخلق ، المجموعة الكاملة، عنيزة، الثقافة الإسلامية، الطبعة الثانية، مركز صالح بن صالح الثقافي ١٤١٢هـ.

١٧- دليل إعداد الرسائل العلمية والمشروعات البحثية، عمادة الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية (٣١).

١٨- الذريعة إلى مكارم الشريعة، لأبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضّل المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق:د.أبو اليزيد العجمي، المنصورة-دار الوفاء للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.

١٩- روضة الناضرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين لمحمد بن عثمان القاضي، الطبعة الثالثة، مطبعة الحلبي، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

٢٠- الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة في العقائد والفنون المتنوعة الفاخرة، للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، لبنان-بيروت- عالم الكتب، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٢١- سنن ابن ماجه :للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،بيروت-دار الكتب العلمية.

٢٢- سنن أبي داود، للحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني، مراجعة وضبط وتعليق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة الرياض الحديثة.

٢٣- سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق وشرح :أحمد شاكر، بيروت-دار الكتب العلمية.

٢٤- الشيخ عبد الرحمن السعدي حياته ، علمه، منهجه في الدعوة إلى الله تعالى، للباحث: عبد الله العمار، رسالة ماجستير، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٠٥-١٤٠٦هـ.

٢٥- صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٢٦- صحيح سنن أبي داود، للحافظ سليمان بن الأشعث السجستاني/ محمد ناصر الدين الألباني، المحقق: محمد ناصر

الدين الألباني، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
٢٧- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،بيروت–دار إحياء التراث العربي.
٢٨- علماء نجد خلال ثمانية قرون للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام، الطبعة الأولى، السعودية: دار ابن الجوزي ١٤١٤٣هـ/.١٩٩٢م.
٢٩- فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، السعودية– الدمام –دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ؟
٣٠- الفقهاء والآداب الشرعية– فقهاء الحنابلة نموذجاً ، مهنا بن خالد الضالع،السعودية– الرياض–شركة آفاق المعرفة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٤١هـ/٢٠٢٠م.
٣١- الفكر التربوي عند الشيخ عبد الرحمن السعدي، د.عبد العزيز بن عبدالله الرشودي، السعودية– دار ابن الجوزي ، ١٤٢هـ.
٣٢- الفيروز آبادي ، القاموس المحيط، بيروت–دار الفكر، ١٤٠٣هـ.
٣٣- القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: خالد بن عثمان السبت، السعودية– الدمام– دار ابن الجوزي، الطبعة الخامسة ١٤٣٩هـ.
٣٤- لسان العرب، للعلامة محمد بن مكرم بن منظور، إعداد وتصنيف يوسف خياط، بيروت–دار لسان العرب، بدون تاريخ.
٣٥- مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم وابنهم محمد، ط: بدون، وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية، ١٤١٦هـ.
٣٦- مشاهير علماء نجد وغيرهم لعبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، الطبعة الثانية، الرياض: دار اليمامة، ١٣٩٤هـ.
٣٧- مشكاة الأنوار، أبو حامد الغزالي، تحقيق: أبو العلاء عفيفي، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر.
٣٨- معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، بيروت–دار الطليعة،الطبعة الثانية ١٩٩٧م.
٣٩- المعجم الوسيط، إصدار: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى وآخرون)، دار الدعوة.
٤٠- معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس القزويني، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

مجلة العلوم الشرعية
جامعة القصيم، المجلد (١٦)، العدد (٥)، ص ص ٢٦١٠ – ٢٦٥٣ (شوال١٤٤٤هـ /مايو٢٠٢٣م)

٤١- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي،بيروت – دار إحياء التراث العربي،١٩٩٩م.
٤٢- مناهج البحث العلمي، عبدالرحمن بدوي، الكويت، وكالة المطبوعات،الطبعة الثالثة، ١٩٧٧م.
٤٣- نظرية السعادة بين الغزالي وبن تيمية، الدكتور احمد قوشتي، السعودية-جده- دار التأصيل للدراسات والبحوث الطبعة الثانية ١٤٣٧هـ/٢٠١٩م.
٤٤- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي،القاهرة-دار الكتاب الإسلامي،١٩٨٤م.
٤٥- الوسائل المفيدة، الشيخ السعدي، المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن السعدري، عنيزة، الثقافة الإسلامية، الطبعة الثانية، مركز صالح بن صالح الثقافي، ١٤١٢هـ.

- المجلات :

- البعد الثقافي في فكر الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، للباحث: عبد اللطيف بن إبراهيم الحسين، مجلة الدرعية، السنة التاسعة، العدد السادس والثلاثون، ذو الحجة ١٤٢٧هـ.